



نحرص نحن - البشر - على صحتنا البيولوجية والنفسية، و منا من يتغدقها وقائياً بفحوصات دورية، و الكل يحرص على العلاج عند المرض، و لكن هل لدينا نفس الحرص على صحة إيماننا؛ وهو في صلابته قد يكون أعظم من الجبال، و لكنه عند زعزعته قد يكون أرق من خيط الثوب، و هو على كل الأحوال معرض باستمرار للزيادة و التقصان؛ بحسب أعمال العبد الوجданية و المادية.

يعرف كثير من المسلمين العناصر الأساسية للإيمان، ولكنهم يغفلون عن التفاصيل و دقائق الكمال وطرائق الاتباع و التحقيق؛ فتجد الكثرين يحرضون مثلاً على الصلاة، فروضها و نوافلها، بينما لا يعرفون أن السعي في حاجة مسلم تعدل وتزيد على الاعتكاف والقيام وهما من عظيم العبادات، يعرفون الزكاة و الصدقة و لكنهم لا يعرفون أن الأهم أن تضع قلبك و جهلك في هموم المسلمين؛ حتى تتحسب منهم و عليهم مصداقاً لقول المصطفى "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" فلا يقر لك قرار، و لا يرتاح لك ضمير و في المسلمين من يئن خوفاً و جوعاً و اضطهاداً، إنك إن لم تحدث خاطرك و نفسك بالانتصار لإيمانك؛ فقد وصلت أدنى الدرجات في فحص الإيمان، و أصبحت تتربّح على هاوية المرض و إن لم تحس، و مرض القلب سبب في مرض الجسد، و إذا مرض البعض أوشك أن يمرض الكل!

بهذا المنطق يكون ما قاله محمد إقبال يصب في سوياء و مركز الإيمان "على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ المسجد الأقصى" فالمسجد الأقصى ليس مجرد مسجد له حرمة و قداسة لكل بيوت الله في الأرض، و ليس مجرد أرض محتلة واجب على المسلمين إن يحرروها، إنه يحوز درجات عليا من القدسية و المكانة العقدية و المحورية في اهتمام المسلمين وأولوياتهم؛ فهو قرآن مكي عقدي يتلى، و هو طريق رباني، و هو بشرى مستقبلية، و هو محطة أخرى، و هذه السلسة الإيمانية لها استحقاقات على وجه الأرض و هي متصلة لا يمكن الإيمان ببعضها و التخاذل عن بعضها الآخر؛ فلا يكفي أن نقول إننا مؤمنون بالوعد الحق؛ فلقد نبه رسول الله صلى الله عليه و سلم حارثة يوم قال له: أصبحت مؤمناً حقاً، فرد عليه المصطفى "انظر ماذا تقول فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟"

إن الإيمان المقدس له أركان قابلة للقياس، تدلل على مستوى و منسوب الإيمان في النفس، جمعها الدكتور راغب السرجاني في كتاب قيم بعنوان (فلسطين واجبات الأمة) قدم فيها ١١٣٥ دوراً إيجابياً، جماعياً و فردياً، قابلاً للتطبيق من

المسلمين على اختلاف أوضاعهم ما بين الحد الأعلى والأدنى بحيث يكون لكل مؤمن مكانة و دور و سهم و ضمانة أن لا ينزلق إلى دوائر التفريط؛ و من هذه الأدوار ما هو قلبي يدخل في تصحيف العقيدة بالعودة إلى الله و الانتماء و الولاء الواحد للإسلام، و التوبة من الذنوب، و التخفف من الدنيا، و كمال العبادة، و التحلية بحسن الخلق و دراسة السيرة، ثم إيمان عملي بهم القضية و دراسة لأحكامها الشرعية، و استيعاب لفكر العدو، ثم التحرك النشط بالقضية في الدوائر الخبيثة و الواسعة من أول الأسرة إلى فضاء العالم، ثم الارتباط بمشروع يضمن توحيد الجهود و تركيزها و استمرارية العطاء و بغير هذا يكون في إيمانك نقص و ثلم؛ لا يغوصه سوى مقويات الاستدراك و العمل، و مراجعة مستمرة و نفس لواحة تسأل دائمًا "أين أنا من القدس والأقصى، و ماذا بذلت و أبذل له؟!"

"على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله أن يقطع على نفسه العهد على إنقاذ المسجد الأقصى" إن هذا القول يشير إلى أن الإيمان المقدسي إيمان فطري؛ يولد مع الإنسان، و يستثار بنداء الأذان و شهادة الحق التي تكون أول ما يسمعه الإنسان، و إن التربية عليه تكون منذ هذه المرحلة الأولى، فمن تأخر فربما يظل يعاني من ضعف الخطى إلا أن يغوص بمزيد من العطاء و التنافس، لقد فهمت هذا امرأة عمران؛ فلم تنتظر حتى ولادة جنينها، و إنما نذرتها و هي ما زالت تتخلق، فقد كان بيت المقدس في خطر لا يحتمل معه التأخير أو الانتظار!

فهل قطع لنا آباءنا يوم ولدنا المسلمين عهد إنقاذ الأقصى و هل نستدرك إذا قصرروا فنقطعه على أنفسنا قولًا و عملاً؟

المسلم

المصادر: